

تفسير البحر المحيط

@ 190 وسخرا لها . وقيل : ماء الأنهار لا يختلط بالماء الملح ، بل هو بذاته باق فيه . وقال ابن عطية : والعيان لا يقتضيه . انتهى ، يعني أنه يشاهد الماء العذب يختلط بالملح فيبقي كله ملحاً ، وقد يقال : إنه بالاختلاط تتغير أجرام العذب حتى لا تظهر ، فإذا ذاق الإنسان من الملح المنبث فيه تلك الأجزاء الدقيقة لم يحس إلا الملوحة ، والمعقول يشهد بذلك ، لأن تداخل الأجسام غير ممكن ، لكن التفرق والالتقاء ممكن . وأنشد القاضي منذر بن سعيد البلوطي ، رحمه الله تعالى : % (وممزوجة الأمواه لا العذب غالب % .
على الملح طيباً لا ولا الملح يعذب .

وقرأ الجمهور : { يَخْرُجُ } مبنياً للفاعل ؛ ونافع وأبو عمرو وأهل المدينة : مبنياً للمفعول ؛ والجعفي ، عن أبي عمرو : بالياء مضمومة وكسر الراء ، أي يخرج الله ؛ وعنه وعن أبي عمرو ، وعن ابن مقسم : بالنون . واللؤلؤ والمرجان نصب في هاتين القراءتين .
والظاهر في { مِنْهُمَآ } أن ذلك يخرج من الملح والعذب . وقال بذلك قوم ، حكاه الأخفش .
ورد الناس هذا القول ، قالوا : والحس يخالفه ، إذ لا يخرج إلا من الملح ، وعابوا قول الشاعر : % (ف جاء بها ما شئت من لطيمة % .
على وجهها ماء الفرات يموج .

وقال الجمهور : إنما يخرج من الأجاج في المواضع التي تقع فيها الأنهار والمياه العذبة ، فناسب إسناد ذلك إليهما ، وهذا مشهور عند الغواصين . وقال ابن عباس وعكرمة : تكون هذه الأشياء في البحر بنزول المطر ، لأن الصدق وغيرها تفتح أفواهاها للمطر ، فلذلك قال { مِنْهُمَآ } . وقال أبو عبيدة : إنما يخرج من الملح ، لكنه قال { مِنْهُمَآ } تجوزاً .
وقال الرماني : العذب فيها كاللقاح للملح ، فهو كما يقال ؛ الولد يخرج من الذكر والأنثى . وقال ابن عطية ، وتبع الزجاج من حيث هما نوع واحد ، فخرج هذه الأشياء إنما هي منهما ، وإن كانت تختص عند التفصيل المبالغ بأحدهما ، كما قال : { سَدِيعَ سَمَآوَاتٍ * }
طَبِيعًا قَاءَ * وَجَعَلَ الْعَلَّ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا { ، وإنما هو في إحداهن ، وهي الدنيا إلى الأرض . وقال الزمخشري نحواً من قول ابن عطية ، قال : فإن قلت : لم قال { مِنْهُمَآ }

{ ، وإنما يخرجان من الملح قلت : لما التقيا وصارا كالشيء الواحد ، جاز أن يقال : يخرجان منهما ، كما يقال : يخرجان من البحر ، ولا يخرجان من جميع البحر ، ولكن من بعضه . وتقول : خرجت من البلد ، وإنما خرجت من محلة من محالة ، بل من دار واحدة من دوره . وقيل : لا يخرجان إلا من ملتقى الملح والعذب . انتهى . وقال أبو علي الفارسي : هذا من باب حذف المضاف ، والتقدير : يخرج من أحدهما ، كقوله تعالى : { عَلَايَ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ } : أي من إحدى القريتين . وقيل : هما بحران ، يخرج من أحدهما اللؤلؤ ومن الآخر المرجان . وقال أبو عبد الله الرازي : كلام الله تعالى أولى بالاعتبار من كلام بعض الناس ، ومن أعلم أن اللؤلؤ لا يخرج من الماء العذب ، وهب أن الغواصين ما أخرجوه إلا من المالح . ولكن لم قلت إن الصدف لا يخرج بأمر الله من الماء العذب إلى الماء الملح وكيف يمكن الجزم به والأمور الأرضية الطاهرة خفيت عن التجار الذين قطعوا المفاوز وداروا البلاد ، فكيف لا يخفى أمر ما في قعر البحر عليهم ؟ واللؤلؤ ، قال ابن عباس والضحاك وقتادة : كبار الجواهر ؛ والمرجان صغاره . وعن ابن عباس أيضاً ، وعلي ومرة الهمداني عكس هذا . وقال أبو عبد الله وأبو مالك : المرجان : الحجر الأحمر . وقال الزجاج : حجر شديد البياض . وحكي القاضي أبو يعلى أنه ضرب من اللؤلؤ ، كالقضبان ، والمرجان : اسم أعجميٍّ معرب . قال ابن دريد : لم أسمع فيه نقل متصرف ، وقال الأعشى : % (من كل مرجانة في البحر أحرزها % . تيارها ووقاها طينها الصدف .